د. قدوري ريم فتيحة

المحاضرة الأولى: الرأي العام مفهومه، نشأته وأهميته

أولا: مفهوم الرأي العام:

يُعد مصطلح **الرأي العام** من المصطلحات القليلة التي يصعب على الباحثين تحديد معناها تحديداً دقيقاً، على الرغم من أن هذا المفهوم ظهر في القرن الثامن عشر، إلا أن **الرأي العام** من الصعب وصفه، وغير ميسور قياسه، ومن المستحيل رؤيته، ورغم ذلك فإن قوة الرأي العام لا يُمكن تجاهلها في أي مجتمع.

وبتحليل مصطلح الرأي العام نجد أنه ينقسم إلى لفظين هما "رأي" ولفظ "عام":

- **الرأي:** من قولك أرى ذلك، وكلمة "**أرى**" في حد ذاتها تعبير عن أمر قابل للشـــك، وعلى هذا "فالرأي" معناه عدم الجزم أو القطع بصحة أمر معين.
- **العام:** يقصـــد بها الجماعة التي تشـــترك في الرأي، وهذه الجماعة تتألف من أفراد يتباينون في أخلاقهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وثقافتهم. و**نقدم أهم تعريفين للرأي العام على النحو التالي:**

التعريف الأول: الرأي العام هو الرأي السائد بين أغلبية الجماهير الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتبين هذه القضية مصالح هذه الأغلبية أو قيمها الإنسانية الأساسية المباشرة".

والمقصود بهذا التعريف أن الرأي العام هو الذي ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار عند رسم السياسة بصفة عامة هو رأي الأغلبية، ولن يقلل من أهمية هذا الرأي وجود آراء مخالفة لبعض الفئات ذات المصـــالح المغايرة لمصـــالح الأغلبية، كما أن هذا التعريف للرأي العام يعني بإبراز دور وســـائل الإعلام والتوعية والتنظيمات السياسية والشعبية في إلقاء الضوء على المسائل العامة التي ينبغي أن يلم بها الشعب إلماماً صحيحاً أو التي قد لا يدركها الشعب بسبب قصور الوعي. ذلك أن **من لا علم له لا رأي سديد له.**

التعريف الثاني: هو الذي يصف الرأي العام بأنه "الظاهرة الفكرية الناجمة عن الحشد الذهني للجماعات التي يترتب عليها أقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم الجماعة".

وهذا يعني أن الرأي العام هو تعبير مركب يشـــمل أطواراً متعاقبة لعملية اجتماعية ديناميكية، وتحاول الجماهير المتنافسة في هذه العملية أن تعدل الإطار السياسي والمعنوي والاقتصادي للمجتمع ليتلاءم مع احتياجاتهم المتغيرة.

من أهم النقاط التي يجب الوقوف عندها وتوضيحها في مسألة مفهوم الرأي العام ما يلي:

- **الرأي العام لا يأخذ اتجاهاً واحداً فقط،** بمعنى أن الرأي العام لا يقتصـــر على عملية القياس أو الاستطلاع فقط، **بينما هو عملية ذات اتجاهين** حيث تبذل الجهود من جانب الهيئات والحكومات الديمقراطية والمؤســـســـات المختلفة لتزويد الرأي العام بالمعلومات الصـــحيحة في القضـــايا والموضـــوعات المختلفة، لتكوين الرأي العام المســـتنير، وذلك من خلال قنوات الفكر ووســـائل الاتصال والمؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية.
- **الرأي العام لا يعني إجماع الأغلبية والأقلية والأقليات على رأي واحد،** وإنما يكون عاماً حينما تنصاع الأغلبية، ولا يعني الانصياع هنا الانصياع القهري لرأي الأغلبية أو الموافقة الناشئة عن الإحســاس بالخوف، **هذا يعني أن الإجماع ليس مطلوباً وإنما يســتلزم الرأي العام رضــا الأقلية،** ذلك الرضا الذي ينشأ عن الاقتناع برأي الأغلبية.
- يرى الباحثون في علوم الاتصـــال والســـياســـة أن الرأي العام **يتحدد بمجموعات آراء الأفراد التي توجد بينها درجة مسبقة من الاتفاق،** أي أنه لا يظهر إلا في إطار من الاتفاق العام، بمعنى أن **الأغلبية ليست كافية، والإجماع ليس مطلوباً،** ولكن الرأي العام يستلزم رضا الأقلية على اقتناع لا عن خوف برأي الأغلبية.
- **الرأي العام ليس هو الرأي الشـــائع على إطلاقه،** بل رأي جماعة معينة أو فئة معينة، أو جمهور معين قد يكون لديه اهتمام بالموضوع أو الفكرة أو القضية التي يقاس رأيه فيها.
- **الرأي العام هو منظومة متكاملة تبدأ بالمعلومات وتنتهي بالســـلوك،** وتشـــمل المعلومات الآراء، والاتجاهات، القيم والمعتقدات، والسلوك.

ومن المهم هنا التمييز في تحديد الرأي العام بين ثلاثة اتجاهات هي:

الاتجـاه الأول: وهو الـذي ينظر إلى الرأي العـام بـاعتبـاره مرادف للإرادة الشـــعبيـة، وإرادة الأم وحكم الجماهير، فهو تعبير عن الحركة الواقعية للمجتمع المحكوم تجاه ممارسة السلطة الحاكمة، أيا كان الشكل الذي يعبر به، ومعظم الدراسات تنتمي إلى هذا الاتجاه.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي ينظر للرأي العام برؤية تحليلية سيكولوجية باعتباره حصيلة تفاعل عدد من العوامل والمتغيرات المختلفة إزاء القضـايا السـياسـية التي تطرح، وينقسـم بصـددها جمهور الرأي العام خلال عملية التفاعل والنقاش إلى أغلبية وأقلية.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الذي يرصـد الرأي العام إزاء العمليات السـياسـية للسـلطة والنظام السـياسـي، فالرأي العام يجد تعبيراته الأساسية في ظاهرة الاقتراع العام والتصويت الانتخابي، وتمثل النتائج السياسية لعملية صناعة الرأي العام وتشكيله.

ثانياً: نشأة وتطور الرأي العام

الرأي العام ظاهرة قديمة قدم المجتمع الإنساني، فقد كانت تعني الإجماع عند المسلمين، وكانت تعني الاتفاق العام على موقف معين، كما عرفت أيضا في بعض الحضارات القديمة كالمدن الإغريقية التي عرفت مفاهيم قريبة من الرأي العام، كالاتفاق العام والاتجاهات السائدة، كما تحدث الرومان عن الآراء السائدة بين الناس، ووصلوا في أواخر عهد إمبراطوريتهم إلى مفهوم صوت الشعب.

ويجمع الباحثون في مجال الرأي العام على أن ظهور هذا التعبير بمدلوله الحاضر كان في خضم الثورة الفرنسية التي اعتبرت كغيرها من الثورات شكلا من أشكال التعبير عن الرأي العام، والتي كانت المنطلق لإعلان حقوق المواطن الفرنسي في أواخر القرن 18 بعد تحرره من هيمنة قوى الإقطاع.

كان الرأي العام في المجتمعات القديمة هو الحاكم الفعلي والمسيطر المطلق على كل أوجه النشاط في مدن اليونان المستقلة، فقد عرفته قرونا عديدة قبل ميلاد المسيح، حيث كانت السيادة المطلقة لهيئة المواطنين مجتمعين، أي لكافة سكان المدينة والريف والمحيط بها، ما عدا العبيد والأطفال والنساء، فالواضح أن الرأي العام في تلك الفترة كان يخص الرجال فقط.

وكانت هذه الهيئة أو الجمعية تمثل السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية جميعا، حيث كانت القرارات تتخذ في اجتماع جمعية المواطنين وتتخذ بأغلبية أصوات المواطنين الحاضرين، حيث تعالج جميع القضايا والأمور الخاصة بشؤون العامة، وقد كانت سلطة الجمعية كاملة ومطلقة، وكما قال ارسطو "كانت تفعل ما تشاء لا يحكمها سوى صوت الأغلبية، صوت الراي العام".

والأصل في استخدام تعبير الرأي العام أنجلوساكسوني، إذ استعمل لأول مرة في انجلترا مطلع القرن الثاني عشر، لكن بروز الرأي العام الحديث يؤرخ بالقرن الخامس عشر بعد ظهور الدولة القومية بالتزامن مع انطلاق الثورة الصناعية والتقدم التقني الذي صاحبها، والذي برزت مظاهره في تطور شبكة المواصلات التي قربت المسافات، إضافة إلى الدور البارز الذي لعبته الطباعة في تسهيل النشر للأفكار والمعارف، وزيادة النقاش حولها.

كما كان لظهور الصراع بين القوى السياسية دوراً أساسيا في بروز الرأي العام خاصة وأن هذه الصراعات استمرت لقرون طويلة مستفيدة من المناخ الديمقراطي، ومن جهة أخرى أيضا شاع استخدام تعبير الرأي العام بمدلوله الحديث في خضم الثورة الفرنسية، التي تعد لون من ألوان التعبير عن الرأي العام من خلال التركيز على رأي الأغلبية في القضايا العامة.

وفي القرن التاسع عشر ساهمت العديد من العوامل في بلورة الرأي العام منها ظهور المجتمعات الكبيرة وازدياد عدد السكان، إضافة إلى تشعب العلاقات الاجتماعية مما أتاح الفرصة لتبادل الآراء والأفكار والنقاش حول القضايا الأساسية، إلى جانب انتشار النظم الديمقراطية والتوسع في حق الانتخاب، وانتشار

التعليم، وآلات التصوير، وظهور وسائل الإعلام الحديثة وانتشارها السريع، مما ساعد على سرعة انتشار الأفكار والآراء وتبلورها على المستويين المحلي والعالمي.

ومع حصـــول الكثير من الدول على اســـتقلالها وتطلعها إلى البناء الاقتصـــادي والاجتماعي والسـياسـي في القرن العشـرين برز دور الرأي العام والإعلام في التنمية، ونشـطت البحوث والدراسـات في هذا المجال، وأصـــبح للرأي العام دور كبير في صـــياغة الأحداث وتوجيهها، وأصـــبح أصـــحاب القرار السياسي يضعون ذلك في حساباتهم.

ثالثاً: أهمية الرأي العام

تبرز أهمية الحديث عن الرأي العام من خلال التأثيرات التي يصـــنعها هذا الرأي أو قدرته على التغيير، على مستوى صناعة القرار، بسبب تحقيقه للإجماع بين الأفراد مما يجعله يشكل قوة ضغط تزداد أهميتها إذا كانت إيجابية في المسـار الصـحيح، وعليه فإن طبيعة النقاشـات وعملية تبادل الآراء بكل حرية ودون أي ضغوطات تسمح بالكشف عن الكثير من القضايا، وتوفر معلومات تساعد على تشكيل آراء صحيحة دون أي تضليل أو تزييف للحقائق.

وأهمية الرأي العام تتحدد في جميع المجالات في المجتمع سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصـادية أو ثقافية، فالكثير من المؤسـسـات في المجتمع على اختلاف أنواعها وتباين نشـاطاتها تهدف إلى التعرف على رأي جمهورها، وتوجهاته، ومساره من أجل تعديل سياساتها، واتخاذ قرارات مهمتها التغيير الإيجابي، وهذا لا يتحقق إلا من خلال ما يدور من نقاشـــات وتبادل للآراء والأفكار بين أفراد الجمهور، والذين يعبرون عليه في شـــكل رأي عام يمثل صـــوت الأغلبية، وأحياناً يمكن أن تكون أقلية تملك ســـلطة وقوة التأثير.

ومما زاد من أهمية الرأي العام قدرته على الانتشار، وقد أدت وسائل الإعلام دورا أساسيا في هذه المهمة في المرحلة الأولى، ثم وسـائل الإعلام الجديد في مرحلة ثانية، من خلال ما تتميز به من خصـائص تقوم على الانتشار والسرعة في نقل المعلومات وتبادلها، وبشكل عام تتحدد أهمية الرأي العام فيما يلي:

1- علاقة الرأي العام بعملية صنع القرار سواء على مستوى السياسة الخارجة أو الداخلية.
2- الرأي العام من بين أهم مقومات جماعات الضغط في المجتمعات ذات النظم السياسية الليبرالية.
3- الرأي العام من بين أهم مصادر شرعية السلطة بحالة من تأثير قوي في القرار الانتخابي الجماعي والفردي.
4- وجود الرأي العام وقدرته على التأثير دليل على حجم الوعي بين أفراد المجتمع، كما أنه مؤشـــر من مؤشرات التغيير والتطور، خصوصا إذا كان يمارس دور الرقابة على ممارسة السلطات.